ISSN: (3006-8614)
E-ISSN: (3006-8622)
Journal of Alma'rifa for Humanities
available online at: https://uomosul.edu.iq/womeneducation/almarifa/

The principles of purification and benevolence in Sufi schools

Nada jamal mada allah **Taha Abdullaa Mohammed**
University of Mosul /College of Education for women

***Corresponding author: E-mail :**
nada23gep9@student.uomosul.edu.iq
dr.taha.a@uomosul.edu.iq

***Keywords*:**
Principles, rules, purification, Sufism, benevolence.

ARTICLE INFO

Article history:
Received **6. Oct.2024**
Accepted **7.Nov.2024**
Available online **18. Mar.2025**

Email:
almarefaa.ecg@uomosul.edu.iq

Journal of Alma'rifa for Humanities
Journal of Alma'rifa for Humanities

ABSTRACT

Purification and ihsan are two fundamental pillars in the spiritual formation of man. Purification is the cleansing of the soul from its diseases and bad morals, and ihsan is to worship God as if you see Him, meaning that the servant should be mindful of his Lord's presence in all his actions, words and states. He should be mindful of God's blessings upon him and strive to improve his modesty and his observation of God. To reach the perfections of the soul after purification, there must be a path to be taken and a method to be explained by the hands of the divine scholars and the inheritors of the prophets and messengers, whose chain of transmission in knowledge, action and state goes back to the Master of Messengers and Seal of the Prophets, may God bless him and his family and grant them peace.

© 2025AJHPS, College of Education for Girls, University of Mosul.

أصول التزكية والاحسان في المدارس الصوفية

ندى جمال مدّ الله أ.م.د. طه عبدالله محمد
كلية التربية للبنات / جامعة الموصل

الخلاصة:

التزكية والاحسان ركيزتين اساسيتين في التكوين الروحي للإنسان ، فالتزكية تطهير النفس من امراضها واخلاقها الرذيلة ، والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، اي أن يكون العبد مستحضراً معية ربه في جميع افعاله واقواله واحواله ،فيستحضر نعم الله عليه، ويجاهد نفسه ليحسن حياءه ومراقبته لله ، وللوصول الى كمالات النفس بعد التزكية لابد من طريق يسلك ومنهج يُبيّن على يد العلماء الربانيين وورثة الانبياء والمرسلين ممن اتصل سندهم علما وعملا وحالا الى سيد المرسلين .

الكلمات المفتاحية: اصول، قواعد، تزكية، تصوف، احسان.

المقدمة

التزكية والاحسان من اهم مهمات الانبياء والرسل عليهم السلام، فوظيفة النبي صلى الله عليه وسلم التزكية وتعليم الكتاب والحكمة ، كما واقسم الحق جلا وعلا على فلاح من زكى وجاهد نفسه ، والاحسان الذي هو درجة اعلى من الايمان باستحضار مراقبة الله وعظمته في كل شيء فهي اي فعل الشرع على اكمل وجه ، من غير غلو وتطرف كما بين الحبيب صلى الله عليه وسلم للثلاثة نفر بانه يصوم ويفطر ويقوم الليل ويرقد ويتزوج النساء ، فالتعبد والزهد ومعرفة حقيقة وقيمة الدنيا لا يعني التنطع والتطرف وحرمة النفس من الطيبات .

وبحثنا هنا يقدم تلك الاصول والقواعد التي فهمها الرعيل الاول لمقامات العبد وطريق سلوكه الى رضا مولاه سبحانه وتعالى ،وفي زماننا الذي طغت المادية والجسمانية بشكل اظلم الروح وصيرها عاجزة عن اداء الفرائض ولو بأدنى درجات الخضوع والخشوع والاستحضار، فالموضوع ليس هامشياً إنما اساس محوري يترتب عليه الفلاح والفوز برضاء الله والجنة ،والسلوك له أصول تعين العبد للرقي الى الدرجات العلا ، فالصحبة الصالحة، ضرورية واجبة في السلوك، لان الانسان ضعيف بنفسه قوي بأخيه ، وهو اجتماعي في اصل تكوينه ،وصحبة الصالحين بشارة الفلاح، وكما قيل : اخبرني من تصاحب؟ اقول لك من انت، وكذا مجاهدة النفس ، فهي العدو الاكبر الكائنة بين جنبي العبد ، و الصدق مع الله الذي يميز الخبيث من الطيب، وبه يتميز اهل الايمان من اهل النفاق ، فالصادقون وصفهم الله بالقلة والصفوة المختارة ، وكذا العلم والتعلم فهو السلاح والدرع والنور الذي يؤمن ويُضيءُ الطريق ، ويبين مزالقه ومهاويه ، ولا تخفى مكانة ومنزلة العلماء الربانيين في الاسلام فهم ورثة الانبياء حقا وصدقا، وقد تطرقنا في البحث لأشهر المدارس التي اعتنت بهذه الاصول ممن اخلصوا لله حالهم وترحالهم وجعل الله لهم القبول في الارض، لتستمر مدارسهم وطرق تربيتهم المستقاة من فهم الكتاب والسنة المطهرة قرونا من الزمن

،وما كان لله دام واتصل ، كما هو الحال في المدارس الفقهية التي بقيت الى يومنا هذا وكتب لها البقاء والقبول من بين عشرات المدارس .

وقد اقتضت خطة البحث ان يكون على ثلاثة مباحث ، ذكرنا في المبحث الاول التعريفات اللغوية والاصطلاحية لمفردات العنوان، ثم تناولنا في المبحث الثاني أهم وأشهر المدارس التي اعتنت بالتزكية والاحسان، ولها اصول معتمدة في طريق السلوك ،كالقادرية والرفاعية والشاذلية، وفي المبحث الثالث تكلمنا عن اصول التزكية والاحسان من حسن صحبةٍ ومجاهدة نفسٍ وصدق نيةٍ وَالعلم والتعلم ، ثم خاتمة.

ولاشك ان المصادر والمراجع التي تحدثت عن هذا الموضوع كثيرة نذكر منها ، مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين لابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، ومرآة الزمان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لليافعي (ت768هـ)، طبقات الاولياء لابن الملقن (ت804هـ)، وحقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى (1412هـ).

المبحث الأول : تعريف بمفردات العنوان

المطلب الاول : مفهوم التزكية

التزكية كلمة تحمل العديد من المعاني والدلالات العميقة التي تتجاوز المعنى اللغوي البسيط ، لتصل الى ابعاد اخلاقية وروحية بشكل عام ، فالمعنى اللغوي الاساسي هو : التنقية والتطهير والنماء وازالة الشوائب والاوساخ ، اما المعنى المجازي الذي يشير اليه هذا المصطلح فهو : زيادة الصلاح والخير في الشي او الشخص ، والارتقاء به الى درجة الكمال .

التزكية في اللغة :

"زكو، الزَّكَوات: جمع الزّكاة. والزّكاة : زكاة المال وهو تطهيره.. زكّى يُزَكّي تزكيةً، والزكاة: الصلاح. تقول: رجل زكيٌّ تقي ، ورجال أزكياءُ أتقياء. وزَكَا الزرع يَزْكُو زَكاءً: ازداد ونما، وكل شيء ازداد ونما فهو يزكو زَكاءً " (الفراهيدي ، (د.ت)، 394/5).

"زَكَّى نَفْسَهُ أَيْضًا مَدَحَهَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة: 103] قَالُوا: تُطَهِّرُهُمْ بِهَا. وَزَكَّاه أَيْضًا أَخَذَ زَكَاتَهُ. وَ تَزَكَّى تَصَدَّقَ". (الرازي ، 1999، 136)

"وَزَكَا الرَّجُلُ يَزْكُو إِذَا صَلَحَ وَزَكَّيْتُهُ بِالتَّثْقِيلِ نَسَبْتُهُ إِلَى الزَّكَاءِ وَهُوَ الصَّلَاحُ وَالرَّجُلُ زَكِيٌّ وَالْجَمْعُ أَزْكِيَاءُ". (الفيومي ، (د.ت)، 254/1)

التزكية في الاصطلاح :

تحمل التزكية في الاصطلاح دلالات متشعبة وعميقة والتي لا تبتعد كثيرا عن المعنى اللغوي بل هو المقصود منها في الاصطلاح، فتشير الى تطهير القلب والنفس الانسانية من الصفات السيئة المذمومة التي تعكر صفوها وتبعدها عن الله تعالى، كالغرور والحسد والكذب...واستبدالها بالفضائل والصفات الحميدة، كالإيمان والصدق والصبر والشكر... والتي من اجلها بعث الله الرسل والانبياء، قال (صلى الله عليه وسلم) «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ». (البخاري، صحيح البخاري 1993، 273)

كما يتضمن المعنى الاصطلاحي السمو الروحي، بتحرير العبد من قيود الاهواء والشهوات للوصول الى الحرية الحقيقة، ويشير ايضا الى الكمال الانساني، وهو الرقي الى التوازن بين الجوانب الروحية والنفسية والجسدية للإنسان، وصقلها لتصبح موافقة مع تعاليم الاسلام، وتعزيز المسؤولية تجاه النفس والمجتمع والدين .

فالتزكية اذاً: تطهير النفس من الرذائل والاهواء، وزراعتها بالفضائل والاخلاق الحميدة، وصولا الى صفاء الروح والكمال الانساني بالقرب من الله تعالى.

المطلب الثاني : مفهوم الاحسان

الاحسان كلمة ذات معاني ودلالات كثير وعميقة، فالمعنى اللغوي الذي يشير اليه هذا المفهوم والذي هو فعل كل ما هو حسن مع الاجادة فيه وضده القبح ، والاحسان هو نقيض الاساءة اي القيام بالأعمال الصالحة ، وتوسع هذا المعنى ليشمل كل ما يصدر عن المرء من خير وعطاء لنفسه او تجاه الاخرين،

والمعنى الاصطلاحي الذي يبينه والذي هو متمم للمعنى السابق ، هو ان يكون العبد على يقين ان الله يراه في جميع اقواله وافعاله مستشعرا مراقبته له ، فهذا المعنى هو الاشهر ، فيُخلص في كل امور دينه ودنياه ، كما يشير الى ايصال النفع للغير والسعي على قضاء حوائجهم والشعور بآلامهم ومحاولة تخفيفها ، فمساعدة محتاج من اطعام جائع او قضاء دين او كشف كربة... وغيرها .

الاحسان في اللغة :

الْحُسْنُ: "ضِدُّ الْقُبْحِ وَالْجَمْعُ مَحَاسِنُ، وَحَسَّنَ الشَّيْءَ تَحْسِينًا زَيَّنَهُ. وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَبِهِ وَهُوَ يُحْسِنُ الشَّيْءَ أَيْ يَعْلَمُهُ وَيَسْتَحْسِنُهُ أَيْ يَعُدُّهُ حَسَنًا. وَ الْحَسَنَةُ ضِدُّ السَّيِّئَةِ. وَ الْمَحَاسِنُ ضِدُّ الْمَسَاوِئِ " . (الرازي ، 1999، 73)

" الإِحْسانُ: ضِدُّ الإِساءَةِ، وهو مُحْسِنٌ ومِحْسانٌ ، والحَسَنَةُ: ضِدُّ السَّيِّئَةِ " . (الفيروزآبادي ، 2005، 1189)

الاحسان في الاصطلاح :

"هو التحقق بالعبودية على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة، أي رؤية الحق موصوفًا بصفاته بعين صفته، فهو يراه يقينًا ولا يراه حقيقة، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: "كأنك تراه" لأنه يراه من وراء حجب صفاته، فلا يرى الحقيقة بالحقيقة؛ لأنه تعالى هو الداعي، وصفة لوصفه، وهو دون مقام المشاهدة في مقام الروح".

وفي الشريعة: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. (الجرجاني ، 1983، 12)

المبحث الثاني : أبرز المدارس الصوفية

كل المدارس تنسبُ الى أشخاص واسماء بعد أن كُتب القبول لهؤلاء في الارض ووفقوا في منهجهم فكثر اتباعهم ومقلدوهم فصاروا يعرفون باسم شيخهم وقدوتهم، وبالتالي فإن الشيخ عبد القادر والشيخ الرفاعي والشيخ الشاذلي (قُدس سرهم)، لم يخططوا بان يكون لهم اتباع وطريقة خاصة كما هو الحال مع مؤسسي الاحزاب والجماعات اليوم ، انما صدقهم وحالهم مع الله عز وجل

وتأثيرهم في اتباعهم وفيمن جاء من بعدهم جعل طريقتهم في التربية والسلوك الى يومنا هذا ، وكذا حال المدارس الفقهية مع من تنسب اليهم .

المطلب الاول : القادرية :

هي احدى ابرز المدارس الصوفية الاسلامية ، في العراق والمنسوبة الى الشيخ عبد القادر الكيلاني (قدس سره) ، وهو عبد القادر بن ابي صالح عبدالله بن جنكي دوست والتي تعود الى القرن الخامس الهجري ، ويصل نسبه الى سيدنا الحسن بن علي بن ابي طالب ، رضي الله عنه ،اما لقبه فينسب إلى جيلان ، او جيل وهي بلاد وراء طبرستان، ولد في سنة اربعمائة واحدى وسبعين للهجرة ، في اسرة عرفت بالخير والصلاح . (ش. الذهبي ، 2003، 12/ 252-253) (الزركلي ، 2002، 4/ 74)

بدأ الشيخ عبد القادر بطلب العلم وتحصيله ، انتقل الى بغداد وهي مركز علمي كبير فاشتغل بالقران الكريم حتى اتقنه ، وسمع الحديث والادب وعلوم الشريعة وتفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل ، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، اعلام الدين واركانه وسيوف الحق وانصاره ، ولم يقتصر اهتمامه على علم واحد بل كان ينتقل بين العلوم الشرعية والعقلية ، حتى فاق اهل زمانه وتميز على اقرانه ، ثم ان الله تعالى اظهرَهُ للخلق ، وأوقع له القبول العظيم والمناقب الشريفة الفاخرة ، فظهرت علامات قربه من الله وإمارات ولايته ، وشواهد تخصيصه وتجرده من الهوى مع قدم راسخ في المجاهدة والطاعة والعبادة . (اليافعي ، 1997، 3/ 265-267) (ز. الحنبلي ، 1952، 1/ 291)

توفي الشيخ عبدالقادر في الثامن من شهر ربيع الآخر سنة احدى وستين وخمس مائة ، وله من العمر تسعون سنه . (الجوزي ، 1992، 18/ 173) (الاثير ، 1997، 9/ 326) (الصفدي ، 2000، 19/ 27)

من مصنفاته : الغُنية لطالبى طريق الحق والفتح الرباني وفتوح الغيب والفيوضات الربانية ، وللشيخ كلام حسن موافق للسنة في التوحيد والقدر

والصفات وفي علوم المعرفة . (الزركلي ، 2002، 47/4) (ز. الحنبلي ، 1952، 1/ 296)

يقول السيد عبدالقادر " قدم رجل من همذان يقال له يوسف الهمذاني، وكان يقال إنه القطب، ونزل في رباط، فمشيت إليه ولم أره، وقيل لي هو في السرداب فنزلت إليه، فلما رآني قام وأجلسني، ففرشني، وذكر لي جميع أحوالي، وحل لي المشكل علي، ثم قال لي تكلم على الناس فقلت: يا سيدي، أنا رجل أعجمي قح أخرس، أتكلم على فصحاء بغداد ،فقال لي أنت حفظت الفقه، وأصوله، والخلاف، والنحو، واللغة، وتفسير القرآن، لا يصلح لك أن تتكلم اصعد على الكرسي، وتكلم، فإني أرى فيك عذقا سيصير نخلة " . (ش. الذهبي ، 1985، 20/ 447)

كان هدفه نشر العلم والدين ، فكان يجلس عند سور بغداد مستندا الى الرباط ، يُدرس ويَعِظ ومع مرور الزمان ازداد عدد طلابه واقبال الناس على مجلسه الذي يقصده الكثيرون للتوبة ، فعمُرت مدرسته ووسعت ، واستمر في التدريس والوعظ الى ان وافته المنية تاركا خلفه اثرا عظيما ، وذكره ابن السمعانى فقال" إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيهٌ صالحٌ، ديّنٌ خيّرٌ، كثير الذكر، دائم الفكر. سريع الدمعة تفقه على المخرمي، وصحب الشيخ حمادا الدباس " . (ش. الذهبي ، 2003، 12/ 254) (ز. الحنبلي ، 1952، 1/ 291)

ومما كان عليه حال الشيخ عبد القادر في مجلسه وعظم هيبته اذا صعد الى كرسي الوعظ كان الحضور وكأن على رؤوسهم الطير ، أدباً وتوقيراً فلا يتكلم احد ولا يقوم من مجلسه ، وكان يحضر مجلسه خلق كثير ، وكان من كرامات وبركات الشيخ يسمع صوته الجميع ويعي ما يقوله على كثرتهم، وإن بعُد مجلسهم ومكانهم عن الشيخ (رحمه الله) . (الوردي ، 1996، 2/ 69)

قال الشيخ عبد القادر" فتشت الأعمال كلها، فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام، أودّ لو كانت الدّنيا بيدي فأطعمها الجياع " ، وذكر الشيخ موفق

الدين صاحب المغني " أنه لم تتواتر كرامات احد من المشايخ الا الشيخ عبد القادر ، فان كراماته نقلت بالتواتر " . (الحنبلي ، 1986، 6/ 332)

المطلب الثاني : الرفاعية

هي احدى اشهر المدارس الصوفية الاسلامية التي ظهرت على يد الشيخ أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد المعروف بابن الرفاعي ، بالعراق في القرن السادس الهجري، تعتمد هذه الطريقة على الزهد والعبادة والتقرب الى الله تعالى ، مع الالتزام باتباع النبي (صلى الله عليه وسلم) والتمسك بسنته، للوصول الى تهذيب النفس والكمال الروحي . (العمري ، 1423 هـ، 8/ 184) (كثير ، (د.ت)، 12/ 312)

كان مولده في أول سنة خمس مائة ، بقرية يقال لها ام عبيدة في البطائح ، بين واسط والبصرة في العراق ، توفي والده وهو صغير فنشأ في كنف خاله منصور الزاهد ، الذي اعتنى به ، وكان شافعيا تفقه قليلا على مذهب الشافعي . (ش. الذهبي ، 1985، 21/ 78) (اليافعي ، 1997، 3/ 310)

جَدّ نفسه في رضا الله تعالى ، فكان مثالا في التواضع والزهد ، والذل والانكسار وسلامة الباطن ، فاجتذب اليه القلوب ، وانتشر صيته في الافاق واصبح قدوة حسنه للناس في كل مكان . (العيني ، 2010، 1/ 326) (بامخرمة ، 2008، 4/ 281)

توفي (رحمه الله) في الثاني عشر من شهر جمادى الاولى ، سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، بأم عبيدة وقد جاوز السبعين سنة . (العمري ، 1423 هـ، 8/ 188) (اليافعي ، 1997، 3/ 312)

ذكر ابن خلكان أن اتباعه كانوا يتمتعون بعادات غريبة وقدرات خارقة ، من بينها اكل الحيات والدخول الى النيران ، واللعب بها واشار بانهم كانوا يركبون الاسود في بلادهم ، والطائفة المنسوبون اليه يعرفون بالبطائحية ، الرفاعية ، وليس للشيخ احمد ذرية ، وانما انتقلت المشيخة الى اخيه وذريته من بعده . (خلكان ، 1994، 1/ 172) (شهبة ، 1407 هـ، 2/ 5)

قال الشيخ شمس الدين يوسف في تاريخه مرآة الزمان:

"حكى لي بعض أشياخنا قال: حضرت عنده ليلة نصف شعبان، وعنده نحو من مائة ألف إنسان قال: فقلت له: هذا جمع عظيم، فقال لي: حشرت محشر هامان إن خطر ببالي أنّى مقدّم هذا الجمع. قال: وكان متواضعا سليم الصدر مجرّدا من الدنيا ما ادّخر شيئا قطّ" . (العيني ، 2010، 1/ 326) (بردي ، (د.ت)، 6/ 92)

وعن الشيخ أحمد أنه قال" سلكت كل الطرق الموصلة، فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الافتقار والذّل والانكسار، فقيل له: يا سيدي! فكيف يكون؟ قال: تعظم أمر الله وتشفق على خلق الله، وتقتدي بسنة سيدك رسول الله" . (الملقن ، 1997، 96) (الحنبلي ، 1986، 6/ 428)

وسُئل عن الفتوة فقال : هي التسامح والصفح عن اخطاء وزلات الاخرين، وان لا ترى لنفسك فضلا على غيرك ، وذلك لبناء علاقات انسانية قوية ، وتعزيز التماسك الاجتماعي . (الملقن ، 1997، 95)

قيل إنه أقسم على أصحابه إن كان فيه عيب أن ينبهوه عليه، فقال الشيخ عمر الفاروقي: " يا سيدي أنا أعلم فيك عيباً " قال: " وما هو " قال: " يا سيدي عيبك أننا من أصحابك ". فبكى الشيخ والفقراء، وقال: " أي عمر إن سلم المركب حمل من فيه ". (الذهبي ، 1985، 21/ 78) (العمري ، 1423 هـ، 8/ 186)

وقال سبط ابن الجوزي " حكى لي بعض أشياخنا قال حضرت عنده ليلة نصف شعبان وعنده نحو مائة ألف إنسان، فقلت له: هذا جمع عظيم فقال: جسرت مجسر هامان ، أنى خطر ببالي أني مقدم هذا الجمع " والعبرة المستفادة من هذا النص هي ان يكون الانسان رقيب على نفسه يحاسبها في جميع اقواله وافعاله ، وتذكير نفسه والاخرين بالتواضع ولين الجانب . (الحنبلي ، 1986، 6/ 429)

ومن حِكمه : الخوف من الله هو مفتاح الطمأنينة والسكينة ، فمن خافه حق الخوف آمن من كل شيء، والاطمئنان بغيره خوف، اي من طلب

الاطمئنان في اي شيء آخر كالمال والسلطة والاشخاص او حتى في نفسه ، فانه يعيش في خوف دائم من فُقدانه . (السامرائي ، 1998، 17)

المطلب الثالث : الشاذلية

هي احدى أبرز المدارس الصوفية التي نشأت في المغرب الاقصى ، في القرن السابع الهجري التي تنسب الى مؤسسها أبو الحسن الشاذلي (قدس الله سره)، وهو علي بن عبدالله بن عبد الجبار بن يوسف ابن هرمز أبو الحسن الهذلي الشاذلي . (الملقن ، 1997، 458)

ولد بريف المغرب في بلاد غمارة(591هـ- 1195م) وسكن شاذلة قرب تونس فنسب اليها . (الزركلي ، 2002، 4/ 305)

تتلمذ عند نشأته على الامام عبد السلام بن مشيش كان له اثر كبير في حياته ثم رحل الى تونس حيث اعتكف للعبادة ودرس بها وسافر بعد ذلك الى مصر ونزل الاسكندرية وتزوج واقام فيها ، ومن معاصروه ابن الحاجب والعز بن عبد السلام وابن دقيق ، سار في طريق العلماء فدرس الشريعة وتفقه فيها ، رغم فَقد بصره ، فصار يناظر في الدين دون خوف او وجل ، ثم ارتقى سلم التصوف ، فصقل روحه بالتقوى والورع فاتصل بربه حق الاتصال فرفعت منزلته حتى صار مثالا للصلاح والخير وقدوة حسنه في سيرته وسلوكه. (الحنبلي ، 1986، 7/ 482)

توفي بصحراء عيذاب متوجها الى مكة قاصد الحج فدفن هناك في أول ذي القعدة سنة ست وخمسين وست مائة . (الصفدي ، 2000، 21/ 142) (السيوطي ، 1967، 1/ 520)

قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله " لم يدخل في طريق القوم حتى قعد للمناظرة، وكان متضلعا بالعلوم الظاهرة، جامعا لفنونها من تفسير وحديث ونحو وأصول وآداب، وله سياحات كثيرة، وكرامات شهيرة، ثم جاءه بعد ذلك العطاء الكثير، والفضل الغزير، واعترف بعلو منزلته من عاصره من أكابر العلماء والأولياء" . (بامخرمة ، 2008، 5/ 244)

وقال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد " ما رأيت اعرف بالله من الشاذلي " . (محمود ، 1967، 14)

قال الشيخ تاج الدين: أخبرني والدي قال: دخلت على الشيخ أبي الحسن الشاذلي، فسمعته يقول" والله لقد يسألونني عن المسألة لا يكون لها عندي جواب، فأرى الجواب مسطرا في الدواة والحصير والحائط" . (السيوطي ، 1967، 1/ 520)

ومن كلامه" كل علم تسبق إليك فيه الخواطر، وتميل النّفس، وتلتذ به فارم به وخذ بالكتاب والسّنّة " . (الحنبلي ، 1986، 7/ 483)

ومع بلوغه هذه المنزلة ، او بسبب بلوغه هذه المنزلة قال :

" من لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا الى ربه ، وتواضعا لخلقه ، فهو هالك " . (محمود ، 1967، 16)

قال سيدنا الشيخ أبو الحسن الشاذلي(قدس الله سره) " كن متمسكا بهذه الصفات الحميدة تفز بسعادة الدارين، لا تتخذ من الكافرين وليا ولا من المؤمنين عدوا، وارتحل بزادك من التقوى في الدنيا، وعد نفسك من الموتى، واشهد لله بالوحدانية ولرسوله بالرسالة، وحسبك عمل صالح وإن قل، وقل آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فمن كان متمسكا بهذه الصفات الحميدة، ضمن الله عز وجل له أربعة في الدنيا: الصدق في القول والإخلاص في العمل والرزق كالمطر والوقاية من الشر وأربعة في الآخرة المغفرة العظمى، والقربة الزلفى، ودخول جنة المأوى، واللحوق بالدرجة العليا " . (الدميري ، 1424، 1/ 60)

المبحث الثالث : أُصول التزكية والاحسان

المطلب الاول : حسن الصحبة

تحملُ الصحبة معاني عميقة ومتعددة ، تشير في جوهرها الى الملازمة والمرافقة والمخالطة والانسجام بين الافراد ، مبنية على الثقة والمودة والاحترام

المتبادل ، قال أهل التفسير: والصحبة هي: الاقتران بالشيء في حالة ما، في زمن ما، فإن كانت الملازمة والخلطة فهو كمال الصحبة.

وقد جمع هذا الأصل وأجمله: الخليل بن أحمد في كتابه «العين»، بقوله: «وكل شيء لاءم شيئًا فقد استصحبه» . (الفراهيدي ، (د.ت)، 3/ 124) (خنفر ، 2009، 13-14)

تكمن اهمية الصحبة في تأثيرها على شخصية الفرد وسلوكه واخلاقه ، ولهذا تعرف اخلاق الرجل بمعرفه اصحابه وجلسائه ، كما ان اختيار الصاحب الصالح هو نصف الطريق الى الصلاح ، فإذا أراد الله بعبد من عبيده خيرا وفقه لمعاشرة أهل السنة وأهل الستر والصلاح والدين، ويرده عن صحبة أهل الهوى والبدع . (السلمي ، 1990، 41)

وان مكانة الصحبة واثرها على الصحابة رضوان الله عليهم الذين ما نالوا هذه الرتبة والمقام الرفيع الا بمصاحبتهم لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومجالستهم له ، واما التابعون فما اصابوا هذه المنزلة الا باجتماعهم بأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وامتدادا لرسالة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) الخالدة خلود الدهر وَرِث العلماء الراسخون العلم والهداية عن نبيهم ، ومن جالسهم تَشَرب من اخلاقهم وعلومهم ، ومن وَالاهُم فقد وَالى الله ورسوله ومن قطع صلته بهم فقد قطع صلته بالإسلام ، فهم يقتبسون من نور النبي (صلى الله عليه وسلم) ليضيئوا به ظلمات الجهل والظلام وقد عناهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ) وفي صحيح مسلم بزيادة (لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ. حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ). (البخاري، صحيح البخاري 1993، 6/ 2667) (مسلم ، 1955، 3/ 1523)

فالصحابة رضوان الله عليهم لم يستطيعوا ان يطببوا نفوسهم بمجرد قراءة القران ، ولكنهم لازموا الرسول (صلى الله عليه وسلم) فكان هو المشرف على تربيتهم والمزكي لهم كما وصفه الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى

ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ (سورة الجمعة : 2)

فإن من اراد إصلاح نفسه وتهذيب اخلاقه وغرس الايمان والعقيدة بقلبه، لا تكفيه مطالعة الكتب والكراريس بل لابد من أخٍ مؤمن صادق ناصح ، يُريه عيوبه النفسية فكل انسان لا يخلو من الامراض القلبية كالحسد والرياء والعجب والبخل والانانية، فيكشف له عن خفايا امراضه القلبية أما بحاله او بقاله ولهذا قال المصطفى (صلى الله عليه وسلم): (الْمُؤْمِنُ مَرْآةُ أَخِيهِ) . (البخاري، الادب المفرد 1379، 93)

فالمرايا انواع فمنها الصافية ومنها العَكِرة المشوهة التي تخفي الجمال ومنها التي تكبر وتصغر فهكذا الاصحاب منهم من لايريك نفسك على حقيقتها فيمدحك ويزرع بداخلك الغرور والعجب ، او يذمك فتقنط من اصلاح نفسك ، اما الصديق والمرشد الوفي الذي ورث عن مرشد قبله وهكذا حتى يتصل برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهي المرآة التي جعلها الله تعالى المثل الاعلى للإنسانية الفاضلة . (عيسى 1993، 41-46)

وإن من أعظم الدلائل على معرفة مَا فيه المرء من تقلبه وسكونه هو الاعتبار بمن يحادثه ويلازمه لأن المرء على دين خليله وله تأثير كبير يتركه على حياته وليس شيءٌ ادل على شيءٍ ولا الدخان على النار مثل الصاحب على الصاحب . (حبان ، (د.ت)، 108)

وضع الامام الغزالي (رحمه الله) شروطاً للصحبة والصداقة ، اولها : العقل : فلا خير في صحبة الأحمق، فإلى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها، وأحسن أحواله أن يضرك وهو يريد أن ينفعك، ثانيها : حسن الخلق : فلا تصحب من ساء خلقه، وهو الذي لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة، ثالثها : الصلاح : أي يكون ملتزما بأحكام الدين مُتجنباً للذنوب والمعاصي ، رابعها : ألا يكون حريصا على الدنيا : أي شديد التعلق بالدنيا ومادياتها ، خامسها :

الصدق : فلا تصاحب كذابا، فإنه مثل السراب، يقرب منك البعيد، ويبعد منك القريب . (الغزالي ، 1993، 66)

وقد ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) حديثا كالبوصلة في حثنا على اختيار و مجالسة الصالحين فقال : (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً). (البخاري، صحيح البخاري 1993، 5/ 2104) (مسلم ، 1955، 4/ 2026)

ومن آداب الصحبة ما ذكره أبو عثمان النيسابوري رحمه الله: الصحبة مع الله: بحسن الأدب، ودوام الهيبة والمراقبة، والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم: باتباع سنته، ولزوم ظاهر العلم. ومع أولياء الله: بالاحترام والخدمة. ومع الأهل: بحسن الخلق. ومع الإخوان: بدوام البشر. ما لم يكن إثما. ومع الجهال: بالدعاء لهم والرحمة ، زاد غيره: ومع الحافظين: بإكرامهما واحترامهما، وإملائهما ما يحمدانك عليه. ومع النفس: بالمخالفة. ومع الشيطان: بالعداوة . (القيم ، 1996، 2/ 435)

المطلب الثاني : مجاهدة النفس

المجاهدة في اللغة : تعني بذل الوسع والطاقة في مدافعة العدو في كل الميادين، وليس ميدان القتال فقط . (الاصفهاني ، 1412 هـ، 208)

وفي الشرع: محاربة النفس الأمَّارة بالسوء بتحميلها ما يَشُق عليها بما هو مطلوب في الشرع . (الجرجاني ، 1983، 204)

فالجهاد نوعان ، جهاد قتال ودفاع وهو الاصغر جهاد العدو الظاهر، أما الاكبر فهو ترويض للنفس الامارة بالسوء بكبح جماحها وصقلها ، وتدريبها على طاعة الله تعالى، بتطبيق شرعه في جميع امور الحياة امراً ونهياً وهذا مانحن بصدده جهاد العدو الباطن، قال الباري عز وجل ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ (سورة العنكبوت:69).

عن فضالة بن عبيد (رضي الله عنه) قال : قال رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم :(الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ) . (الترمذي ، 1996، 3/ 264)

الانطلاق في طريق مجاهدة النفس اولى خطواته ادراك ان النفس البشرية امارة بالسوء وايمانه بوصفها التي اخبر عنها الله تبارك وتعالى ، وانها اكبر قاطع في طريق السعادة الحقيقة والتقرب من الله . (القيم ، 1996، 2/ 498)

فالنجاح في الدنيا والاخرة رهين بجهاد النفس، لذا يجب ترويضها بالقوة والارادة والصبر مع استخدام سلاح العزيمة ، قال الشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله " اخرج الدنيا من قلبك ، وضعها في جيبك أو في يدك فإنها لا تضرك" ، وكما قال الشاذلي رحمه الله " عبادة المريد مع حبه للدنيا شغل قلب وتعب جوارح ، فهي وان كثُرت قليلةٌ عند الله تعالى " والسر في ذلك هو الاخلاص فهو اشد على النفس ، كما قال الامام الجنيد فهو سرٌ مكنون في داخل العبد لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيبعده ويلهيه ولا هوىً فيميله ، فمجاهدة النفس مقام رفيع لان سببه محبة الله تعالى ، واكبر القواطع عن الله تعالى هي الدنيا والنفس والشيطان والخلق . (عيسى 1993، 101)

وليس القصد من مجاهدة النفس استئصال صفاتها ، بل المراد من ذلك الارتقاء من سيء الى حسن ، والنفس لم ترض إذا لم ترض، لأنها كلب عقور، فالأعضاء كالسواقي، والمياه النجسة في الثمرة، اي النهر منصب في جدول الطبيعة ومجراها وهو القلب فان صَلُح صلح الجسد كله ، لان الأمراض النفسية موجودة في جبلة كل انسان من حسد وغيرة ورياء وكبر وغضب وبخل ...

﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾ (سورة يوسف : 53).

وهكذا معظم الصفات المذمومة التي لا تُكسر ولا تهدم ولا تحول بينها الا المجاهدة . (القيم ، 1996، 2/ 298)

واذا علم المرء عيوبه وصدق في تهذيبها ، لم يعد لديه متسع للخوض والانشغال بعيوب الاخرين لذا قالوا لا ترَ عيب غيرك مادام فيك عيوب ، والعبد لا يخلو من العيوب ابداً ، فعلى السالك طريق المجاهدة التدرج بادئ الامر بتركه وتخليه عن المعاصي المتعلقة بالجوارح السبعة وهي العينان واللسان والاذنان واليدان والرجلان والبطن والفرج ، بالطاعات المناسبة لكُلٍ منها ، ثم ينتقل الى الصفات الباطنة الناقصة كالغضب والرياء والكبر ... بصفات كاملة كالسكينة والاخلاص والتسامح والرحمة والصبر ... وقد جعل السادة الصوفية في كل مشاربهم وطرائقهم هذا الاصل الاصيل فقالوا التخلية قبل التحلية ، وليس من تخلية الا بالجهاد ومتابعة النفس ، وبما ان طريق المجاهدة شاق وَعِرٌ المسالك يَصعَبُ اجتيازه منفردا ، فعلى السالك من صحبة مرشد (شيخ) عالم بالطرق ومعالجتها يستمد منه خبرة عمليه بأساليب مجاهدة النفس كما يقتبس من روحانيته نفحات تعينه على تكميل نفسه وشخصيته ، كما كان (صلى الله عليه وسلم) هو المربي والمرشد الاعظم الذي زكى نفوس اصحابه بحاله وقاله. (عيسى 1993، 102-104)

المطلب الثالث : الصدق

في اللغة: مطابقة القول والحكم للواقع ، اما في اصطلاح أهل الحقيقة: وهو نطق الحق في مواطن الهلاك، وقيل: أن تصدق في محل لا ينجيك منه إلا الكذب ، وعرف الواسطي: الصدق بانه صحة التوحيد مَعَ القصد . (الجرجاني ، 1983، 132)

الصدق من أسنى وأشرف الصفات التي لابد لطالب طريق الحق طريق الوصول الى الله تعالى، من ان يتصف بهذه الصفة فهي اول مراحل السير والتي هي صدقه بإنابته الى ربه بالتوبة النصوح ، فالصدق عند العامة مرتبط بالصدق اللفظي اي قول الحقيقة، اما السادة الصوفية فيرون بان الصدق اوسع بكثير اذ يشمل بالإضافة الى صدق القول صدق الفعل والقلب والحال، فيعتبرون الصدق حالة روحانية شاملة ليكون الانسان صادقا في كل ما يفعل ويقول

ويعتقد، ومنهم من قال بانه استواء الظاهر والباطن والسر والعلانية ، (عيسى 1993، 244-246)

وهو أقوم الطرق التي من لم يسر عليها فهو من الهالكين المنقطعين. وبه يتميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنة من أهل النار وقد اعتبر الرسول الصدق الطريق الموصل الى البر الذي يشمل كل الكمالات التي توصل العبد الى الجنة ، فعَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا) . (البخاري، صحيح البخاري 1993، 5/ 2261)

وقد جَعَلهُ الحق سبحانه وتعالى ارفع الدرجات بعد النبوة ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾ (سورة النساء:69)

ووصف الله تعالى الصادقين بالقلة والفئة المختارة من المؤمنين فقال الحق تبارك وتعالى : ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ ﴾ (سورة الاحزاب: 23)

وقال معروف الكرخي رحمة الله مشيرا الى ندرة الصادقين "ما أكثر الصالحين واقل الصادقين في الصالحين". (السلمي 1998، 83)

وقيل من أراد أن يكون الله تعالى معه فليلتزم بالصدق فإن الله تعالى قال: إن الله مع الصادقين، والصادقون ليسوا بمرتبة واحدة ، بل متفاوتة بعضها اعلى من بعض ، وقد نال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ذروة سنامها ، وشهد الحق بذلك فقال ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣ ﴾ (سورة الزمر: 33)

ومقام الصدِّقية مقام الولاية الكبرى التي لا يعلوها الامقامُ النبوة ، وهي أرفع درجات العالمين، التي تتوالى فيها التجليات وتعظم الكشوفات لكمال النفس

وحسن صفائها ، لان من أسَرَّ سريرة البسهُ الله رداءها ، وقد أمر الله رسوله أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق فقال تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠ ﴾ (سورة الاسراء: 80)

فمن طلب الله بالصدق أعطاه مرآة يبصر فيها الحق والباطل ، ومما ورد عن الصدق من لم يؤد الفرض الدائم لم يقبل منه الفرض المؤقت ، قيل وما الفرض الدائم قال: الصدق . (القيم ، 1996، 2/ 257-266)

المبحث الرابع : العلم والتعلم

العلم وطلب العلم مما يشترط اهل الطريق بعد صدق النية وحسن التوكل ومجاهدة النفس فهو النور الذي يقود العبد الى الله تعالى ، فحث دين الاسلام على طلبه واثنى على علمائه الذين هم ورثة الانبياء، فجعله الله تبارك وتعالى من اعظم القربات بل هو فرض لأنه يرفع من شأن الانسان وبه يفهم اسرار الكون وعظيم صنع الخالق تبارك وتعالى في كل شيء ، ويجعله قادرا على فهم دينه ودنياه ، قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ (سورة المجادلة:11)

وامر رب العزة رسوله (صلى الله عليه وسلم) بان يسأله المزيد ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤ ﴾ (سورة طه : 114)

وقَالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ" . (مسلم ، 1955، 4/ 2074)

وللعلم ثلاث مراتب : وهي علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، فالأولى علمك أن في هذا الوادي ماء، والثانية كرؤيته، والثالثة كالشرب منه ، اما التعلم فمراتبه ستةٌ : وهي حسن السؤال وحسن الانصات والاستماع وحسن الفهم وحسن الحفظ وحسن التعلم ثم ثمرة ذلك بالعمل به والوقوف على حدوده . (السفاريني ، 1993، 1/ 42-44)

فذهابُ الإسلام من أربعة لا يعملون بما يعلمون ، ويعملون بما لا يعلمون ، ولا يتعلمون ما لا يعلمون ، ويمنعون الناس من التعلم ، ذكر الإمام أحمد رضي الله عنه:" الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب. لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين ، وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه ".

وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه: "طلب العلم أفضل من صلاة النافلة".

وقال ابن وهب:" كنت بين يدي مالك رضي الله عنه. فوضعت ألواحي وقمت أصلي، فقال: ما الذي قمت إليه بأفضل مما قمت عنه". (القيم ، 1996، 2/ 440)

«ذُكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم». ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير. (الترمذي ، 1996، 4/ 416)

وقد ذم الاسلام طلب العلم من اجل التباهي والمفاخرة والسمعة والشهرة ، بل يجب طالبه وسالكه من أن يتحلى بالتواضع وان يعلم ان العلم بحر لا ينتهي ،وتمام العلم بان يعجز المرء عن بلوغ كُنهه ، فهو ينقسم الى ثلاثة اقسام من حيث حكمه الشرعي اولهُ : المأمور به الذي يكون ضروريا لفهم الدين مما لا يسقط عن العبد الا بممارسته هو به (مالا يتم الواجب الا به فهو واجب) ، كتعلم ما به يستطيع المكلف اداء المفروض عليه من العبادات ليعبد الله على الوجه الصحيح ، ثانيهِ : العلم المندوب اليه ، الذي يحث الاسلام على طلبه

وتعلمه ، لكن ليس بقدر وجوب العلم الشرعي ، كمعرفة فضائل الاعلام القلبية والبدنية ، ومعرفة السنن والنوافل والتعمق بمعرفة الفقه والعقائد وادلتها التفصيلية ، ثالثه : العلم المنهي عنه ، لأنه يؤدي الى فتنه او ضرر او تعارض مع العقائد الاسلامية ، الا اذ كان القصد والغرض منها بناء الرد والشبهات وذودا عن الدين ، او دفع خطرها كتعلم السحر للاحتراز منه فيجوز ويكون القصد هنا تعلم الشر لا لذاته بل لتوقيه ، وعلم التنجيم والكهانة لا يجوز اما علم النجوم لغرض الدراسات ومعرفة القبلة فيجوز . (عيسى 1993، 94-96)

وان العلم حياة القلب من الجهل ونور العين من الظلمة، فمن ازداد علمه ومعرفته ازدات سكينته ، فالخصال الاربعة التي ترفع العبد كما ذكرها السري السقطي رحمه الله : العلم والأدب والأمانة والعفة ، فليس العلم بكثرة الرواية إنما العالم من اتبع العلم واستعمله واقتدى بالسنن وإن كان قليل العلم ، وأنفع العلم العلم بأمر الله ونهيه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه وأعلى العلوم العلم بالله وصفاته وأسمائه ، وطريقة تزكية العلم هي بتعليمه او العمل به وبذلك يفتح ابوابه وخباياه ، فقيل شكر العلم العمل وشكر العمل زيادة العلم ، ومنهم من عبر عن العلم في كلمتين لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت . (السلمي 1998، 55-167)

الخاتمة

بعد هذه الرحلة في اصول التزكية والاحسان في المدارس الصوفية ، نصل الى عدة استنتاجات :

1. ان طريق الوصول الى الله جل وعلا والفوز بمرضاته يكون بالاسوة والقدوة التي نسال الله في كل صلاة بان يهدينا اليها ،فالصراط المستقيم لا يكون الا بصراط الذين انعم الله عليهم ممن اصطفى من عباده لينجو العبد من طريق وصراط المغضوب عليهم والضالين .
2. التزكية ، تخلية وتحلية ،فالأولى تشير الى تطهير النفس وتنقيتها من الرعونات والخبائث بالترويض والمجاهدة والمصابرة ، والتحلية التي تعني حمل النفس على التسليم والرضا وتنفيذ امر الله وترويضها بملئها وعلى

الاخلاق الحميدة ومعالي الامور .يؤكد هذا المفهوم على نهي النفس عن الهوى والنهي عن الركون الى شهواتها وملاذها من غير افراط ولا تفريط .

3. مقام الاحسان ،فضل و هداية من الله يختص بها من يشاء من عباده ،اذ يكون حال العبد دوما باستحضار الخالق وغياب المخلوقين فهو دائم الانابة والرجوع ، وبهذا يكون مخلصا في حاله وقاله ، منسلخا من صفات الكبر والعجب والرياء والسمعة ... .
4. المدارس الصوفية ، القادرية والشاذلية والرفاعية من اهم المدارس التي تركت آثارا علمية وعملية قيمة لا يمكن انكارها في حياة الافراد والمجتمعات على مر القرون .
5. كان هم وشغل تلك المدارس تهدف الى تحقيق الهداية والارشاد و السير على المنهج الذي رسمه الاسلام ، وانها ليست مجرد ممارسات روحية ، بل تطهير القلب والنفس للوصول الى قرب الله تعالى .
6. معنى التصوف الصحيح الفهم الصحيح لمقاصد الشريعة الغراء والاتباع الاكمل لحضرة النبي صلى الله عليه واله وصحبه ، فهو الطريق الوسيلة الافضل لتحقيق السعادة والسلام الداخلي.
7. الصحبة الصالحة ركن اساسي في التزكية و السير الى الله تعالى ، فهي تسارع من عملية الوصول باختصار الكثير من الجهد والوقت .
8. يؤكد السادة الصوفية على ان مجاهدة النفس هي حجر الزاوية التي توصل الى تذوق حلاوة الايمان .
9. ان المرء لا يكون مؤمنا حقا الا اذا كان صادقا في قوله وفعله ، فهو جوهر الاخلاق الذي يمثل اعلى درجات النقاء والصفاء .
10. تركز المدارس الصوفية على ضرورة العلم والتعلم ، وان التصوف ليس مجرد زهد وتعبد ، انما السعي جاهدا لمعرفة الشريعة والعلم بالله وصفاته واسمائه وكل ما يعين العبد على اداء الفروض والواجبات .

المصادر

1. ابن الاثير ،علي بن ابي الكرم (1997م) . ***الكامل في التاريخ***. بيروت: دار الكتاب العربي.
2. ابن القيم ،محمد بن ابي بكر (1996 م) . ***مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين***. المجلد ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.
3. ابن الملقن، سراج الدين ابو حفص عمر (1997م). ***طبقات الاولياء***. القاهرة : مكتبة الخانجي .
4. ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر (1996م). ***تاريخ ابن الوردي*** . بيروت : دار الكتب العلمية.
5. ابن حبان، محمد بن حبان بن احمد (د.ت). ***روضة العقلاء ونزهة الفضلاء***. بيروت : دار الكتب العلمية.
6. ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين (1994م) . ***وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان***. بيروت: دار صادر.
7. ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل (د. ت) . ***البداية والنهاية***. القاهرة : مطبعة السعادة .
8. الاصفهاني ، ابو القاسم الحسين الراغب (1412 هـ) . ***المفردات في غريب القران***. بيروت: دار القلم .
9. بامخرمة، الطيب بن عبدالله (2008 م) . ***قلادة النحر في وفيات اعيان الدهر***. جدة : دار المنهاج.
10. البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل(1379هـ). ***الادب المفرد***. القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها.
11. البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل (1993م). ***صحيح البخاري***. دمشق : دار ابن كثير – دار اليمامة.
12. بردي، يوسف بن تغري(د.ت). ***النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة***. مصر: وزارة الثقافة والارشاد القومي –دار الكتب .

13.الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى (1996م) .***الجامع الكبير (سنن الترمذي)***. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

14.الجرجاني، علي بن محمد (1983م) . ***كتاب التعريفات***. بيروت: دار الكتب العلمية.

15.الجوزي، جمال الدين ابن فرج (1992م). ***المنتظم في تاريخ الامم والملوك***. بيروت: دار الكتب العلمية .

16.الحنبلي، زين الدين ابن رجب(1952م). ***الذيل على طبقات الحنابلة*** . القاهرة: مطبعة السنة المحمدية .

17.الحنبلي، عبد الحي بن احمد ابن العماد (1986م). ***شذرات الذهب في اخبار من ذهب***. بيروت : دار ابن كثير.

18.خنفر، حازم. (2009م). ***غاية المنوة في آداب الصحبة وحقوق الاخوة***. المجلد ط1. دار الصديق للنشر والتوزيع .

19.الدميري، محمد بن موسى (1424هـ) . ***حياة الحيوان الكبرى***. بيروت: دار الكتب العلمية .

20.الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (1985م). ***سير اعلام النبلاء***. مؤسسة الرسالة .

21.الذهبي، شمس الدين (2003م) . ***تاريخ الاسلام و وفيات المشاهير والاعلام***. بيروت: دار الغرب الاسلامي .

22.الرازي، زين الدين (1999م) . ***مختار الصحاح*** . بيروت : المكتبة العصرية – الدار النموذجية.

23.الزركلي، خير الدين بن محمود (2002م) ***الاعلام***. المجلد ط15. دار العلم للملايين.

24.السامرائي، يونس الشيخ ابراهيم (1998م) . ***السيد احمد الرفاعي***. بغداد : مطبعة اسعد .

25.السفاريني، محمد بن احمد بن سالم(1993م). ***غذاء الالباب في شرح منظومة الاداب***. مصر : مؤسسة قرطبة .

26.السلمي ،محمد بن الحسين (1998م) .***طبقات الصوفية***. بيروت: دار الكتب العلمية .

27.السلمي، ابو عبدالرحمن محمد (1990م). ***آداب الصحبة***. مصر: دار الصحبة للتراث .

28.السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين (1967م) . ***حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة***. مصر: دار احياء الكتب العربية .

29.شهبة ، ابو بكر بن احمد بن قاضي (1407هـ). ***طبقات الشافعية***. بيروت: عالم الكتب .

30.الصفدي، صلاح الدين خليل (2000م) . ***الوافي بالوفيات***. بيروت: دار احياء التراث.

31.العمري، احمد بن يحيى (1423هـ). ***مسالك الابصار في ممالك الامصار***. ابو ظبي: المجمع الثقافي .

32.عيسى، عبد القادر (1993م) . ***حقائق عن التصوف***. حلب: دار العرفان .

33.العيني، بدر الدين محمود (2010م) .***عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان***. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية .

34.الغزالي ، ابو حامد محمد (1993م). ***بداية الهداية***. ط1. القاهرة: مكتبة مدبولي .

35.الفراهيدي، الخليل بن احمد (د .ت). ***كتاب العين***. دار ومكتبة الهلال .

36.الفيروزآبادي، مجد الدين ابو طاهر (2005م). ***القاموس المحيط***. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع .

37.الفيومي، احمد بن محمد (د.ت). ***المصباح المنير في غريب الشرح الكبير***. بيروت : المكتبة العلمية.

38.محمود ،عبدالحليم (1967م) . ***اعلام العربي***. القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر .

39.مسلم، ابو الحسين بن الحجاج القشيري (1955م) . ***صحيح مسلم***. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي .

40.اليافعي، ابو محمد عفيف الدين (1997م) . ***مرآة الجنان وعبرة اليقظان في ما يعتبر من حوادث الزمان*** بيروت: دار الكتب العلمية .